وقولُ اليهود : إله يحب رشاش الدّماء وريحَ القترْ
وقوم أتوْا من أقاصى البلاد لرَمى الجمار ولثم الحجرْ
فواعجبا مـــن مقـــالاتهم أيعمى عن الحق كل البشرْ

وهكذا تجده يرمى الأديان واحداً بعد واحد فلا يسلم من لسانه دينٌ أو مذهب . ويناقشهُ مناقشة الشاعر المتعجل . إلى أن يصل إلى الدين الإسلامى فيعجب لرمى الجمار ولثم الحجر . ويجد فى ذلك عمى عن الحق وزيغاً عن الحجى . وهو يقسم العالم إلى قسمين فيقول :

هفت الحنيفةُ والنصارى ما اهتدتْ ويهود حارَتْ والمجوس مضَلّلهْ
اثنان أهلُ الأرض ذُو عقل بـــلا دين وآخرُ دينْ لا عقلَ لهْ

فالنصارى والمسلمون فى ضلال . واليهود حيارى والمجوس تائهون والعاقل بلا دين والجاهل متدين ، وهذا هجاء للدين وهجاء للمتدينين . وهو إلى ذلك يصبّ أقواله فى الله وفى صميم تعاليم الدين الإسلامى . فيقول :

يدٌ بخمس مئين عسجداً وُديتْ ما بالها قطعتْ فى رُبـــع دينـــار
تناقضٌ ما لنا إلا السكوتُ لهُ وأن نعـــوذ بمـــولانا من النـــار

فيعترض على الأحكام . وينتقد الشرع ؛ ثم يلوذ بالسكون والهمس خوفاً من النار وجزعاً من المسلمين . كأنه يريد أن يفهم سامعيه بأنه أعمل العقل فانتهى إلى هذا النقد ، ونحن ندخله فى هذا الباب لأنه هجوم وسخرية فى ظاهر القول .

وقد قام خلاف بين المذاهب الدينية والفرق . وسار نقاش وهجاء . ولكنه لم يصب الدين فى جوهره . ونهض بعض الصوفية بشعر فيه غمغمة وشك ونقد ، أحاله المفكرون إلى شىء آخر غير الكفر والزندقة .

وفيما عدا ذلك ، رأينا أن الهجاء الدينى بمفهومه الإسلامى الأول قد سكت خلال العصور حين آل الأمر إلى تعصب إسلامى فى الخلافة والحكم . وقد